

المجازات النبوية قراءة في المستوى التصويري

د. عهود عبد الواحد
رئيس قسم اللغة العربية

تمهيد

الآثار النبوية الشريفة أقدس النصوص العربية بعد كتاب الله العزيز، وتكمن نفاستها في نواح عديدة كشفت لنا عظم شخصية رسول الله -ﷺ- الذي قال فيه الباري سبحانه: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى)^(١)، وأولى هذه النواحي بالإيضاح لطلاب العربية فصاحة الفاظها وبلاغة عباراتها (إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولُمع البيان الغربية، وأسرار اللغة اللطيفة يعظم النفع باستنباط معادنها، واستخراج كوامنها واطلاعها من أكمّتها وأكنانها، وتجريدها من خللها وأجفانها)^(٢) لذا أثرت دراسة النماذج التي جمعها الشريف الرضي في كتابه (لمجازات النبوية أو مجازات الآثار النبوية) ليعكس صورة لبلاغة رسول الله -ﷺ-.

إن ما دفعني لاختيار هذا الكتاب أسباب عدة أهمها:

- ١- أنه حوى أحاديث صحيحة منتقاة لرسول الله -ﷺ- تجلّت بها روائع المجازات النبوية التي أبانت عظم فصاحته ورفعة بلاغته فكان بحق أفصح العرب بلا منازع.
- ٢- صفاء ذائقة الشريف الرضي، وسعة ثقافته التي أحاطت بالمادة اللغوية وغاصت في أعماقها فأخرجت دررها، لذا لم يدّخر الشريف وسعاً في متابعة آراء العلماء فيها وذكر رأيه بعد ترجيح أقرب آرائهم إلى الصواب، وجمال

- تحليلاته البلاغية التي تربط بين المعاني اللغوية للكلمات والاستخدام البلاغي الذي تدخل فيه، فأفاضت في أستاذنا أعماق الصورة الفنية المنبثقة عنه. كما أنه كشف النقاب عن جوانب من شخصية الرضي اللغوية والبلاغية والنقدية.
- ٣- جمعه بين الشخصية الشعرية الرائدة، والشخصية العلمية المحصنة إذ منحه ذلك القدرة على التحليل بمخيلة الشاعر، وبقلم العالم المتمكن من أدواته.
- ٤- طريقة الشريف الرضي المتفردة في تناول الأحاديث الشريفة إذ كان يتتبع ما في كلام رسول الله -p- من غرائب البيان وعجائب الاستعارات، وما يتجسّد فيه من أسرار اللغة فيكشف للقارئ اللبيب مكانة الحديث النبوي الشريف في لغة القرآن الكريم إذ يشير إلى مواضع النكت ومواقع الغرَض فيه بالإيماءات الخفيفة والأعبارات الوجيزة (لئلا يطول الكتاب فيجفو على الناظر، ويشق على الناقل.. لأنّ القلوب في هذا الزمان ضعيفة عن تحمّل أعباء العلوم الثقيلة والإجراء في مسافات الفضائل الطويلة)^(٣) وهذه الطريقة اتّبعتها أيضاً في كتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن) عند تناوله المجازات القرآنية. وأشار الشريف إلى تلك الطريقة غير المسبوقة في تأليف كتابيه بقوله: (فيكون هذان الكتابان -بأذن الله- لمعتين يُستضاء بهما وعرنينين لم أسبق إلى قرع بابهما)^(٤)، وقوله في موضع آخر: (وإني سلكت من ذلك محجّة لم تُسلك وطرقت باباً لم يطرق)^(٥).

لقد قرأت المجازات النبوية قراءات عدة فشددتني الأحاديث الشريفة بجمال معانيها ودلالاتها ودقة صورها وسعة خيالاتها، وأدهشني الشريف بتلك الشخصية العلمية الفذة التي تستحق منا القراءة والبحث لنضعها في مكانها المرموق بين علماء عصره كما وضع في أرفع مكان بين شعراء ذلك العصر. لذا آثرت البحث في

الجانب التصويري للمجازات النبوية ووسمته بـ(المجازات النبوية قراءة في الجانب التصويري) .

وقد تناولت فيه مباحث عدة منها:

١- وسائل التصوير من تشبيه واستعارة وكتابة.

٢- أنواع الصور وأساليب بنائها.

وأشرت إلى أهمية الصور الحسية وبيّنت أنواعها فمنها البصرية والسمعية والشمية والذوقية ومنها ما يتكون من أكثر من حاسة.

أما أساليب بنائها فمنها المفرد ومنها المركب وقد وردت تلك الأنواع بحسب مقتضى الحال فإن استدعى البساطة جاءت الصورة مفردة وإن استدعى التمثيل جاءت الصورة مركبة.

أما الغاية من البحث فهي بيان بلاغة رسول الله -p- التي أخذ التصوير منها جانباً مهماً، والدعوة إلى دراسة الآثار النبوية والاهتمام بها للاقتداء بها واستخراج دررها البلاغية والأدبية واللغوية.

وتنبه الدارسين إلى الكتب التي اهتمت بالتأليف في الآثار النبوية غير كتب الصحاح وغريب الحديث، فهي تحوي مادة علمية غزيرة في الأدب و البلاغة واللغة لا غنى لدارس العربية عن الاطلاع عليها والإفادة منها، وفي مقدّمها كتاب (المجازات النبوية).

ولابد من الإشارة إلى مصادر البحث ومراجعته، فقد أفدت كثيراً من كتاب المجازات النبوية نفسه واستعنت بتحليلات الشريف الرضي البلاغية الدقيقة، وكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ت (٦٠٦هـ) كما أفدت من

المصادر البلاغية والنقدية القديمة والمراجع الحديثة، ومن كتب التراجم والمعاجم والصاحح، وكتب اللغة، ومن البحوث الأكاديمية، والرسائل الجامعية. وأسأل الله الذي شرّ فني بدراسة جانب من الآثار النبوية أن يمكنني من استخراج كنوزها التصويرية وروائعها التعبيرية، فإن أصبت فبتوفيق من الله تعالى وأن أخطأت فمن عندي. وحسبي المحاولة وعلى الله قصد السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التعريف بالمؤلف وبالكتاب:

الشریف الرضی أبو الحسن محمد بن الحسین بن موسی بن إبراهیم العلوی^(٦) من ألمع الذین أنجبهم العصر العباسي الثاني ويحتل مكانة الصدارة في الطبقة الأولى من شعرائه وكانت ولادته ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة. قال عنه الثعالبي (٤٢٩هـ). وهو أقرب من ترجم للشریف حيث توفي بعده بثلاثة وعشرين عاماً. (هو اليوم أبداع أبناء الزمان وأنجب سادة العراق ويتحلى مع متحدّه الشریف ومفخره المنيف بأدب ظاهر، وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين كالجماني وابن طباطبا، وابن الناصر وغيرهم، ولو قلت أنه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق)^(٧). وقال عنه المحدثون: (وكان أوحّد علماء عصره، وقرأ على أجلاء الأفاضل فكان أديباً بارعاً متميزاً وفقيهاً متبحراً، ومتكلماً حاذقاً ومفسراً لكتاب الله وحديث رسوله محققاً)^(٨). وقد أبدى العلماء أعجابهم بشعره حتى سمي ديوانه بـ(الناجحة الثکلی)^(٩) وأشادوا بعلمه وبجودة تأليفه حتى قيل عن كتابه (حقائق التأويل في متشابه التنزيل)، (تعدّد وجود مثله دلّ على توسعه في علم النحو واللغة)^(١٠)

وقلما يبرح في هذين المجالين مَنْ يجمعها، لكنني وجدت الشريف بارعاً ووجد ذلك قبلي من قرأ شعره وعلمه من العلماء وأشادوا به كما أسلفت، ولك أيها القارئ اللبيب أن تطلع على كتبه المطبوعة أمثال:

- تلخيص البيان في مجازات القرآن، وقد اختص بالمجازات القرآنية.
 - المجازات النبوية، وهو ميدان هذا البحث.
 - حقائق التأويل في متشابه التنزيل، وهو كتاب اختص بمتشابه الآي الكريم.
 - وأحال عليه الشريف في كتابيه السابقين^(١١)، وقد عثر على الجزء الخامس منه فقط وطبع بشرح العلامة محمد الرضا ال كاشف الغطاء.
 - ديوان شعره، وهو ديوان كبير حققه د. عبد الفتاح محمد الحلو.
- فتجد نفسك أمام عالم شاعر يستحق منا التقدير والأعجاب والمزيد من الأهتمام.

أما كتابه (المجازات النبوية) فقد تخير الشريف من أحاديث رسول الله -p- ثلاثمائة وخمسة وسبعين حديثاً سوى ما ورد في ثنايا الشروح من أحاديث اتفقت بعض الفاظها مع الأحاديث الأساسية، وقد أوضح تلك الأحاديث وشرح ألفاظها وأبان استعاراتها وتشبيهاتها وكناياتها واستعان بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية والأمثال العربية وذكر آراء العلماء وأقوالهم وأدلى بدلوهم معهم. فكان كتابه عظيم الفائدة جم المنفعة لإحاطته بالمعاني وإشارته لدلالات المباني فكشف النقاب عن مجازها وفتح أبواب الفكر لاستيضاح بلاغتها وإعجازها.

أهمية المستوى التصويري:

يعرف المستوى التصويري بأنه: المستوى الذي ينتقل فيه التعبير من الأسلوب المباشر الذي يعتمد التقرير إلى الأسلوب غير المباشر الذي يعتمد التصوير من خلال استخدام أساليب البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية^(١٢).

لذا كان التعبير التصويري أقوى دلالة من التعبير المباشر إذ (الوصف المباشر يضعف الدلالة وهو دون الصور الإيحائية أيّاً كان مظهر الإيحاء)^(١٣).

وسائل التصوير الحسي:

أولاً: التشبيه:

أولت الدراسات البلاغية القديمة والحديثة عناية بالغة بالتشبيه، قال الرماني ت (٣٨٦هـ): (التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسلاً آخر في حسّ أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس)^(١٤)، وزاد العسكري (ت ٣٩٥هـ) على ذلك بقوله: (التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه)^(١٥).

أما المحدثون فقد بحثوا التشبيه من زاوية أشمل ودعوا إلى نظرة أكثر سعة للتشبيه من خلال التغلغل في أعماق الصورة ومحاولة استشراف آفاق النفس التي تروم تقديم رؤية جديدة للموضوع من خلال هذه العلاقة^(١٦).

إن بنية التشبيه تقوم على (مجموعة من المحاور -التي- استتبعت من سياقات نصوص الشواهد، حيث توزعت بين القرآن الكريم والشعر والنثر وشكّلت منظومته المتوازنة التي سجّلت حضوراً واعياً في أذهان المنشئين والمتلقين كأحد الفنون البلاغية البيانية الإبداعية في إنتاجها لبنية المشاركة)^(١٧).

لقد دخل التشبيه في أحاديث رسول الله -p- الواردة في المجازات النبوية وأنتج صوراً عديدة يمكن إدراجها تحت نوعين من الصور:

١- الصور المفردة.

٢- الصور المركبة.

١- الصور المفردة.

وهي الصور التي تكون في أبسط نوع، حيث تقدم تصوراً جزئياً ولها دلالتها النفسية المستقلة في ذاتها^(١٨).

وأظهر أنواع التشبيه الداخلة في رسمها:

التشبيه البليغ: وهو التشبيه الذي تحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، قال ابن أبي الأصبع ت (٦٥٤هـ): (حد التشبيه البليغ: إخراج الأغمض إلى الأظهر مع حسن التأليف)^(١٩).

وسبب تسميته بالبليغ (لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى)^(٢٠).

ومن أمثله في المجازات النبوية قول رسول الله -p-: (الحمى كير جهنم)^(٢١) إذ أراد رسول الله -p- المبالغة في وصف حرارة الحمى واتقادها وشدة أوارها واضطرابها فشبهها - عليه الصلاة والسلام - بكير يستمد من نار جهنم (وهي أعظم النيران وقوداً، وأبعدها خموداً)^(٢٢)، ويتجلى أبداع هذا التشبيه في وروده ضمن هذا النوع الذي يدمج المشبه بالمشبه به فيجعلنا نلمس بأيدينا شدة حرارة الحمى المستمدة من كير جهنم التي يمكننا تخيلها؛ لكثرة وصفها في القرآن الكريم والحديث الشريف، فأصبحت أوصافها كأنها مرئية.

وكقوله -p-: (إنَّ للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم)^(٢٣) إذا غابوا أفقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم) فأراد رسول الله أن يصف لنا المتقين ربهم الملازمين للمسجد فشبههم بالأوتاد المضروبة فيه، فكما أن الوتد قائم في المسجد لا يتزعزع فكذلك المؤمن قائم في المسجد وملزم له. وقد وصف الشريف الرضي هذا الحديث بقوله: (وذلك من التمثيلات العجيبة الواقعة موقعها والمقرطسة غرضها)^(٢٤). ولا يقصد بالتمثيلات سوى التشبيهات اعتماداً على المعنى اللغوي للتشبيه وهو: التمثيل كما ورد في قوله تعالى: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبَّه لهم)^(٢٥).

وكقوله -p-: (المؤمن مرآة أخيه)^(٢٦)، فأراد رسول الله -p- أن يبيِّن مدى وثاقة العلاقة بين المؤمنين فكأنَّ أحدهم مرآة للآخر يرى فيه محاسنه فيستحسنها ويزداد منها، ويرى مساوئه فيستقبحها وينصرف عنها. فهو بذلك يبيِّن له مواقع رشد، ويطلعه على خفايا عيبه^(٢٧).

وقوله -p- في أطفال المسلمين: (هم دعاميص)^(٢٨) الجنة^(٢٩). إذ شبَّه أطفال المسلمين للعبهم في أنهار الجنة ومياهاها بالدعاميص التي تقوم في قرارات الغدران وجمامها^(٣٠). ووجه الشبه بينهما صغر الحجم مع دوام الحركة في المياه. ومنها قوله -p-: (الأنصار كرشي وعييتي)^(٣١) فقد بيَّن رسول الله -p- مكانة الأنصار من نفسه فهم بطانته وموضع سرِّه وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره^(٣٢).

من خلال ربطها بصورتين حسيّتين معروفتين في البيئة العربية. إحداهما: تضرب مثلاً في الأعانة عند الحاجة وهي صورة ذوات الاجترار التي تفرع إلى

أكراشها عند فقد المرعى لتستعين بها على استمرار حياتها في قوله ((الأنصار كرشي)).

والأخرى: وصفهم بأنهم مستودع سرّهم إذ شبههم بالعبية وهي مستودع النفائس والثياب.

فمن خلال الصورتين اتضحت مكانة الأنصار فهم قوة ظهره وعدة دهره، والملاحظ على هذه الصور أمور:

١- إن استخدام كلمة (كرشي) في التشبيه الأول دلّت على أنهم جزء من رسول الله -p- كما أن الكرّش جزء من جسم المجتر فاستعانته بهم كأستعانته بنفسه. كما أن استخدام ياء النسب في الكلمتين (كرشي) و (عيبتي) عزّز تلك الدلالة.

٢- إن استخدام التشبيه البليغ في الصورتين كان الاستخدام الأمثل الذي أثرى دلالة اللحمة بين الرسول -p- والأنصار فقد جعل المشبه عين المشبه به زيادة في التوكيد على مكانتهم من نفسه، وأن معوّله في السّراء والضراء عليهم^(٣٣) وهذه المكانة صرّح بها رسول الله -p- في أحاديث أخرى كقوله -p- ولو سلك الأنصار شِعْباً وسلك الناس شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصار ولولا الهجرة لكنت امراً من الأنصار^(٣٤).

كما تحدّث -p- عن قبيلة مضر قائلاً: (مُضَرُّ صَخْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تُتَكَلَّ)^(٣٥) إذ شبّه مضر بالصخرة الراسية؛ لقوة هذه القبيلة ورسوخها (أي لا تدفع عما سلطت عليه لثبوتها في الأرض)^(٣٦).

وزاد من ايضاح قوتها إضافة (الصخرة) إلى الخالق سبحانه؛ ليكون أفخم لها في القلوب وأجدر لها بالرسوخ^(٣٧). وتأكيد الرسول -p- على تلك القوة بالجملة

الفعلية (لا تتكل) الدالة على التجدد والحدوث دلّ على أن هذه القوة مستمرة بعدم ترحزها على مكانها وعزز دلالة الصمود والرسوخ فيها.

إن الصورة المفردة وردت كثيراً في إيضاح صفات المؤمن؛ والإهتمام بشخصيته وسعي رسول الله -p- لجعلها أكثر تكاملاً، وأوسع تفاعلاً في المجتمع؛ لما للمؤمنين من أهمية عظمى عند رسول الله -p- فاهتم بأحوالهم جميعاً وأوضحها في مثل قوله -p-: (المؤمن موهٍ راقع)^(٣٨)، فبهذه الصورة البسيطة رسم لنا رسول الله -p- صورة لسرعة توبة المؤمن بعد إساءته وندمه على خطئة فشبهه (بمن يخرق ثوباً ثم يبادر في رقع ما خرق، ورتق ما فتق)^(٣٩).

ومن أجمل أحاديث رسول الله -p- في صفات المؤمنين قوله -p-: (العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيّمه، واللين أخوه، والرفق والده، والصبر أمير جنوده)^(٤٠).

فقد وردت فيه سبع تشبيهات بليغة متتالية أخذ بعضها برقاب بعض؛ لترسم لنا صورة لصفات المؤمن الرفيعة من خلال اختيار رسول الله -p- لأدق المعاني المجردة ك(العلم، والحلم، والعقل، والعمل، واللين، والرفق، والصبر) وربطها بأقرب المقربين إلى نفس الإنسان ك(الخليل، والوزير، والدليل، والقيم، والأخ، والوالد، وأمير الجند)؛ ليبين للمؤمنين أهمية هذه المعنويات وأثرها في حياتهم فالعلم أنيس المؤمن من الوحشة، والحلم يؤازره على كظم المكروه، والعقل دليل الإنسان في ظلم المشكلات والعمل يتقّف ميله ويقوّم زلله، واللين يفيد في مؤاخاة الإخوان ومخالصتهم، والرفق يقبل اليه القلوب، ويجعلها تحنو عليه حنو الوالد والصبر ملاك أمره، وشداد أزره فهو كأمر جنده الذي يقوى به على أعدائه^(٤١).

والملاحظ على الأحاديث التي ورد فيها هذا النوع من التشبيه^(٤٢) أنها وردت لترتبط بين الحياة الدنيا والآخرة فجعلتنا نتحسس حرارة جهنم، وأرتنا أطفال المسلمين وهم يلعبون في أنهار الجنة وجعلت المسلم واقياً لأخيه المسلم من الزلزل الذي يؤدي به إلى الهاوية ومنبهاً إياه على الخلل الذي يعترضه. وبين لنا أن المسلم الحق تجالسه الملائكة، وأرتنا مكانة الأنصار ولحمتهم برسول الله -p- ، وقوة مضر التي لا تتكل كما أنها عرّفتنا بالصفات الحقة للمؤمنين التي تؤهلهم لدخول الجنة. فكان هذا النوع من التشبيه الوسيلة الفضلى لهذا الربط التصويري بين الدنيا والآخرة.

٢- الصور المركبة.

(وهي مجموعة من الصور البسيطة المؤلفة التي تستهدف تقديم عاطفة أو فكرة أو موقف على قدر من التعقيد أكبر من أن تستوعبه صورة بسيطة)^(٤٣).
والربط بينها لا يتم بين طرفين بسيطين وإنما يكون الطرفان متعددين ومشكّلين علاقة تتداخل وتتجاوز وتتتابع سواء أكانت مادة حسية يغلب عليها تصوير الحركة والأنقال والتفاعل أم مجردة فكرية أو نفسية)^(٤٤).
وكان هذا النوع من الصور هو السائد في المجازات النبوية؛ لأن رسول الله -p- أراد تجسيم المعنويات والأفكار المجردة بصورة مألوفة قريبة من أذهان المخاطبين ومستقاة من واقعهم.
وقد اشترك الحديث النبوي مع القرآن الكريم في أهم الدلالات المستقاة من هذا النوع من الصور وهي^(٤٥):

١- تصوير الحالات الإنسانية، والنماذج البشرية.

٢- ترسيخ المعاني الذهنية.

- وقد ظهر في الحديث الشريف معنى آخر هو:
- إعطاء أهمية لأماكن معينة مقدّسة لمواقفها في الإسلام.
- ومن أهم الوسائل لرسم هذه الصور وتجسيد هذه المعاني.
- التشبيه التمثيلي:

وهو من أكثر أنواع التشبيه تأثيراً لربطه بين أجزاء متعددة ترينا المشبه صورة والمشبه به صورة، ووجه الشبه المتكون بينهما صورة أيضاً، يقول السكاكي ت (٦٢٦هـ): (واعلم أن التشبيه متى كان وجهه غير حقيقي وكان منتزعاً من عدة أمور خصّ باسم التمثيل)^(٤٦).

وسأتناول هذه الدلالات بالتتابع وهي:

١- تصوير الحالات الإنسانية:

أوضح رسول الله -ﷺ- حالات معينة للمسلمين كقوله -ﷺ- (لنْ تُرْمَى بِالْمَعْرُوفِ وَلَنْ تُهَوَّنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُحْيِيَنَّكُمْ اللَّهُ كَمَا لَحِيتُ عَصَايَ هَذِهِ، لَعُودٌ فِي يَدِهِ)^(٤٧). فقد عبّر رسول الله -ﷺ- عن الحاق النقص في النفوس والأموال بالمسلمين وإصابتهم بالمصائب العظام وشبه حالهم إذ ذاك بالأغصان التي جُرِّدَتْ من أوراقها وعُرِيت من ألحيتها وألياطها^(٤٨).

وقوله مبيناً حال المؤمنين: (المؤمنون كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)^(٤٩) فقد شبه شبه -ﷺ- صورة المؤمنين في تماسكهم وتلاحمهم بصورة لبنيان المتراس الذي يشدُّ بعضه بعضاً، موضحاً بذلك صورة تلاحم المؤمنين المعنوية من خلال ربطها بصورة حسية مألوفة هي صورة البناء القوي.

وكقوله -ﷺ- للمسلمين: (لنْ تَبْرَحُوا مُبْتَلِينَ مَا كُنْتُمْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، فَإِذَا أَنَا هَلَكْتُ أَقْبَلْتُ إِلَيْكُمْ الدُّنْيَا وَأَقْبَلْتُمْ إِلَيْهَا، وَاضْطَمَكْتُمُ الدُّنْيَا اضْطِمَامَ الْوَالِدَةِ وَلَدَهَا)^(٥٠)

فأراد رسول الله -p- بيان حال المسلمين في عهده وحالهم من بعده. ففي عهده الشريف كانت درجة الأبتلاء عظيمة -والمسلمون مستعدون لأنواع البلاء- لأنَّ الآخرة أكبر همهم وغاية مناهم، حتى إذا توفَّى الله تعالى رسوله الكريم -p- بدأت المغويات بالتسلل إلى المسلمين، وقد عبّر رسول الله -p- عن ذلك بقوله: (أقبلت اليكم الدنيا وأقبلتم إليها) حيث جعل الدنيا امرأة تقبل اليهم ويقبلون إليها وتضمهم إليها كما تضم الوالدة ولدها، واختار رسول الله -p- هذه الصورة لأنها أكثر حناناً وأشدَّ بياناً لحالة الاحتضان التي أراد إبرازها. وبهذه الصورة الحسية المتحركة للمشبه به أبان لنا رسول الله -p- الصورة المعنوية لإقبال المسلمين على الدنيا بعده.

ومن ذلك زجر رسول الله -p- لأمته عن الوقوع في المعاصي حيث يقول: إنَّي ممسكٌ بِدُجَزِكُمْ هلموا عن النار وتغلبونني تقاحمون فيها تقامُ الفرَاشُ والجنادب، وأوشك أن أرسل حجزكم^(٥١).

أي أن رسول الله -p- ممسك بالمسلمين عن الأعمال المؤدية إلى دخول النار، وهم مقبلون على السقوط في المعاصي من غير تثبّت، يقول الشريف الرضي: إنَّ المراد به أنه -عليه الصلاة والسلام- يبالغ في زجر أمته عن التقدّم في المعاصي والارتكاس في المضال والمغاوي بشكائم المنع وخزائم الردع فشبه ذلك -عليه الصلاة والسلام- بامسك الرجل بحجزة صاحبه إذا كان يسقط في مهواة أو يرتكس في مغواة ليتماسك بامساكه وينجو بعد إشفاقه^(٥٢).

إن الحديث الشريف استخدم أدوات عدة في رسم هذه الصورة المركبة منها:
١- إنه انتقل من الدنيا إلى الآخرة في مشهد جسّد لنا صورة النار المستعرة والناس تتقاحم فيها بكثرة، قرنها بصورة تقاحم الفراش والجنادب لتتوضّح.

٢- إنَّ الحوار الذي ورد في الحديث أضاف إلى صورته البصرية صورة سمعية بقوله -p-: (هلموا عن النار وتغلبونني).

فبهذه اللوحة المليئة بالحياة والحركة استطاع رسول الله -p- أن يجسّد الصورة المعنوية للزجر كأنها مرئية مسموعة.

ومنها أيضاً قول رسول الله -p-: (أيها الناس ما يحملكم على أن تتتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار)^(٥٣) فأراد رسول الله -p- أن يبين حال من يتسارع إلى قول الكذب رغبة فيه - وهي صورة مركبة - بحال الفراش المتساقط في النار؛ لأنه يلوذ بها وينازع إليها - وهي صورة مركبة معروفة لدى الناس.

ويعلل الشريف الرضي سبب استخدام الرسول -p- لفظ التتابع بقوله: (والتتابع: التواقع إلى الشيء المكروه، فلما كان الكذب كالمهواة والمزلة من حيث أدّى إلى المخزاة والمذلة حسن لذلك أن المتسرّع إليه كالواقع فيهما والمرتكس في قعرهما)^(٥٤). ووجه الشبه بين الصورتين السقوط في النار المفضية إلى الانتهاء رغبة في ذلك مع عدم تقدير العاقبة.

٢- ترسيخ المعاني الذهنية:

وضّح رسول الله -p- المعاني الذهنية من خلال ربطها بصورة حسّية قريبة نابعة من واقع المسلمين كما في تصوير معنى (الحسد) عندما نهى المسلمين عنه بقوله: (ياكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)^(٥٥).

إذ عبر عن إفناء الحسد حسنات المؤمن بالأكل، وشبهه بالنار التي لا تبقى شيئاً من الحطب عند استعارها (لأن الحسد يجري في قلب الإنسان مجرى النار؛ لاهتياجه وانتقاده وإرماضه واحتراقه)^(٥٦) فيدفع صاحبه إلى الإقدام على المعاصي والسقوط في المهاوي ولا يتورع عن ارتكاب الآثام، قال ابن المقفع: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس يتصعد، وزفير يتردد وحزن يتجدد)^(٥٧). وقد أختار رسول الله -p- صورة النار المرئية يومياً للمسلمين جميعاً لتزيل بوضوحها غموض صورة الحسد المعنوية وتبرزها للعيان.

وقد يحث رسول الله -p- على الصفات الحميدة كما حث على ترك الصفات الذميمة. كقوله -p- مبيناً أهمية الصدقة: (إنَّ الله يُربي لأحدكم التمرة واللّقمة كما يربي أحدكم فلّوّه أو فصيله حتى يكون مثل أحد)^(٥٨).

لقد أراد رسول الله -p- أن يحث المسلمين على فعل الصدقة وإيتائها مهما صغرت، فإنَّ الله سيجزل ثوابها، وللشريف تعليق لطيف إذ يقول: (إنَّ الله سبحانه سيجمع القليل إلى القليل من صدقاتكم، والنزر من قر بكم وطاعاتكم حتى يعظم يسيرها ويكبر صغيرها فيكون عظيم الجزاء بحسبه وجزيل الثواب على قدره)^(٥٩).

وقد استمد رسول الله -p- من البيئة العربية الصحراوية صورة مألوفة لتربية صغيري الحصان والناقة، فالبعناية بهما يكبران ويقويان كذلك تكبر الصدقات ويقوى ثوابها كلما كثرت، فتجسدت بذلك صورة ثراء الصدقات وازديادها بتواتر العطاء، من خلال اقترانها بصورة ازدياد أعداد الحيوانات نتيجة العناية بصغارها وتربيتها تربية سليمة.

٣- إعطاء أهمية لأماكن معينة مقدسة لمواقفها في الإسلام:

أشار رسول الله -p- إلى أهمية أماكن معينة في الأسلام كالمدينة المنورة، إذ يقول فيها: (إِنَّ الأسلام ليأرُزُ إلى المدينة كما تَأرُز الحية إلى جحرها) (٦٠) قال ابن الأثير عند إيراده الحديث: (أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها) (٦١). فصور الرسول فضل المدينة ومكانتها إذ جعلها مهوى للأسلام ومأوى إليه، ووضح هذه الصورة المركبة من خلال تشبيهها بصورة مركبة مرئية هي صورة عودة الحية إلى جحرها؛ لأنَّ المدينة قطب مداره ونقطة ارتكازه (٦٢).

وكقوله -p- فيها أيضاً: (أمرت بقريةٍ تأكل القرى تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد) (٦٣).

وقد أراد -p- الهجرة إلى المدينة فأهلها سيقهرون أهل القرى فتكون لهم ملكية البلدان وغنائمها، وعبراً عن ذلك بجملة: (تأكل القرى) التي رسمت صورة متحركة شخّصت انتصار المدينة على سواها من الأعداء، عضدتها صورة لتمحيص أهلها (فينتقي عنها الأشرار ويبقى فيها الأخيار، ويفارقها الأخلاء والأوشاب ولا يصبر عليها إلا الصميم واللباب، فتكون بمنزلة الكير الذي ينفي الأخباث والأدران ويخلص المصاص والنضار) (٦٤). فرسم صورة لتنقية المدينة من الأشرار من خلال تشبيهها بصورة الكير الذي ينفي خبث الحديد، وهي صورة مألوفة لدى العرب انعكس وضوحها على صورة المشبه المعنوية فأوضحتها.

٤ - الاستعارة:

من أهم الأنماط الأدائية التصويرية التي تحقق طاقات خلاقية للأبداع الأدبي؛ لذا كانت مداراً لاهتمام الباحثين قديماً وحديثاً، وقد عرّفت تعريفات كثيرة أهمها وأكثرها نضجاً تعريف عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١) هـ إذ يقول عن الاستعارة -

ويريد بها التصريحية التي يصرح فيها بلفظ المشبه به-^(٦٥): (أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً)^(٦٦).

وتحدّث عن الأستعارة المكنية، التي يحذف فيها المشبه به ويرمز اليه بلازم من لوازمه^(٦٧)، ونبه على اختلافها عن التصريحية بقوله: (وضرب آخر من الأستعارة وهو ما كان نحو قوله: (إذا أصبحت بيد الشمال زمامها) هذا الضرب وإن كان الناس يضمونه إلى الأول حيث يذكرون الأستعارة فليسا سواء؛ وذلك أنك في الأول تجعل الشيء لشيء ليس به، وفي الثاني تجعل للشيء الشيء له)^(٦٨).

وتحدّث عن قدرتها على التخيل قائلاً: (ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدرة نبلاً، وتوجب له بعد الفضيلة فضلاً، وأنت لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة وخلابة موموقة، ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر)^(٦٩).

أما السكاكي ت(٦٢٦) فيقول عن الأستعارة المكنية: (هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول: في الحمام أسد، وأنت تريد به الشجاع مدّعياً أنه من جنس الأسود، فثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سدّ طريق التشبيه بأفراده للذكر أو كما تقول: إنَّ المنيّة أنشبت

أظفارها، وأنت تريد بالمنية: السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع فنثبت لها ما يخص المشبه به وهي الأظفار^(٧٠).

أما الباحثون المحدثون فقد أولوا الأستعارة اهتماماً بالغاً ونظروا إليها من زاوية تحقيقها لخاصية العدول التي نالت حظوة كبيرة في دراسات المحدثين، لأنها تخرج عن النمط التقليدي المباشر إلى أنماط أخرى ذات منحى إيحائي يستتطق الجماد ويعطي طاقات خلاقة للغة، لذا قال د. صلاح فضل عن العدول الذي تتضمنه الأستعارة: (وحده الآن الموضوع الحقيقي لدراسة الشعر)^(٧١).

ويرى د. جابر عصفور أنها تعتمد على تفاعل الدلالات الذي هو انعكاس وتجسيد لتفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها وليس على التمايز والوضوح المنطقيين^(٧٢).

والحق أن النقاد العرب المحدثين أفادوا من العلماء السابقين ومن النقاد الغربيين وعلى رأسهم ريتشاردز الذي يرى أن الأستعارة هي الأداة الرئيسية التي ترتبط بواسطتها الأشياء المتغايرة وغير المرتبطة^(٧٣).

لقد كثرت الأستعارة في أحاديث رسول الله -p- الواردة في المجازات النبوية؛ لما لها من أثر في أبراز المعاني التي أراد الرسول -p- ترسيخها وتقريبها من أذهان المؤمنين، وتحبيب الصفات الحميدة إليهم، وإبعادهم عن الخصال الذميمة، والحدود المحرمة، كقول رسول الله -p- وقد سمع مؤذناً يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله -: ((دَقَّكَ كل رطبٍ ويابس))^(٧٤).

فقد شبّه الرطب واليابس بإنسان فحذفه وأبقى لازماً من لوازمه وهو (التصديق) على سبيل الأستعارة المكنية، ولم يرد رسول الله -p- التصديق الحقيقي إنما أراد التصديق بلسان الخلق لا بلسان النطق. (فجميع المخلوقات شاهدة بأن لا

إله إلا الله سبحانه، بما فيه من تأثير الصبغة واتقان الصنعة، وشواهد الصانع الحكيم، والمقدّر العليم فهي من هذه الوجوه متكّمة وإن كانت خرساء ومفصحة وإن كانت عجماء^(٧٥).

ومن استخدام الأستعارة المكنية أيضاً قول رسول الله -p- في وصية لأمرأه الجيش الذي بعثه إلى معركة مؤتة: (وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف)^(٧٦) فالأستعارة في قوله -p-: (للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف).

إذ شبه استيطان الشيطان رؤوس الأعداء باتخاذ القطاة مفحصاً لها؛ لتبيض فيه فحذف القطاة وأبقى لازماً من لوازمها وهو (المفحص) وعزّز ذلك بجملة الطلب (فاقلعوها بالسيوف) أي أقلعوا رؤوسهم التي عشعش فيها، أي: أقتلوهم.

وقد زاد من بيان الصورة استخدام فعل الأمر بلفظ (اقلع) بدلاً من (اقطع) لأن الجذر اللغوي (قلع) وما يشتق منه لا يستخدم إلا في إخراج الأشياء الراسية من جذورها دون أن يبقى منها شيء. أما لفظ (اقطع) فيعني بقاء الجذور وقطع ما برز منه فقط. واستخدام اللفظ الأول أنسب في إثراء الدلالة من الآخر. فكأن الشيطان متجدّر في تلك الرؤوس المريضة ولا بد من اقتلاعه من جذوره باقتلاع الرؤوس الحاوية له.

وقد قدّم رسول الله -p- شبه الجملة الواقعة خبراً (للشيطان) وفصل بينه وبين المتبداً المؤخر (مفاحص) بشبه الجملة (في رؤوسهم) لتوكيد تلك العششة والاهتمام بمكانها المحدد (في رؤوسهم) وهذا العدول عن التركيب الأصلي للجملة زاد من إثراء دلالتها ونبه المسلمين على الاهتمام بمقاتلة هذا النوع من الأعداء.

ولم أجد في الأستعارات الواردة في المجازات النبوية استعارات تصريحية أو تمثيلية مؤثرة إنما كانت معظم الأستعارات مكنية تحرّك الجمادات وتبعث فيها الحياة لتنعكس على المعاني الإنسانية والمبادئ الإسلامية فتجعلها قريبة من الأذهان، وماثلة للعيان^(٧٧).

خصائص الأستعارة المكنية

للأستعارة المكنية خصائص تميزها من غيرها وأهمها:

١ - التشخيص:

(وهو أسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له كالأشياء الجامدة، والكائنات المادية غير الحية)^(٧٨) فتنعكس عليها العواطف الآدمية والخلجات الإنسانية فتشارك بها الآدميين وتأخذ منهم وتعطي^(٧٩).

وقد استخدم رسول الله -p- التشخيص كثيراً في أحاديث المجازات النبوية التي مثلت مواقف حياتية متنوعة استدعت ذلك الاستخدام فمن ذلك قول رسول الله -p- وقد رأى بغيراً في بعض بساتين المدينة فحنّ إليه كالشاكّي، فقال -عليه الصلاة والسلام- لصاحبه: (إنّ بغيرك يشكوك ويزعم أنّك أكلت شبابه حتى إذا كبر تريد أن تتحره)^(٨٠). لقد أفاض رسول الله -p- على البعير صفات إنسانية تجلّت في الفعلين (يشكو) و (يزعم)؛ لتكون صورة الحيوان الذي غمط حقه على الرغم من الخدمات الكثيرة التي قدّمها لصاحبه أكثر تأثيراً إذ جعله شاكياً ناطقاً وقد اتضح تشخيص آخر في الأستعارة المكنية في قوله: (أكلت شبابه) أي (استعملته في حال شبابه وقوته، وأجمعت نحره في حال ضعفه وكبره، فجعل استعماله طول أيام شبابه كالأكل شبابه؛ لأنه استفاد له وذهاب به)^(٨١).

فكان ذلك أكثر تأثيراً في السامع، وأدل على مراعاة الأسلام لحقوق الحيوان.
وعندما وصف رسول الله -p- أشراف الساعة قال: (فعند ذلك تقيء الأرض
أفلاذ كبدها)^(٨٢).

إذ شبه الكنوز المودعة في بطون الأرض بأفلاذ الكبد (هي شُعَبُها وقَطَعُها؛
لأنَّ شُعَبَ الكبد من شرائف الأعضاء الرئيسية فكذلك الكنوز من جواهر الأرض
النفيسة)^(٨٣). وعبر عن عملية الإخراج غير الإرادية بـ(القيء) فكما أنَّ الإنسان
عندما يتقيأ يرمي ما في جوفه قسراً فكذلك الأرض عند أشراف الساعة تخرج كنوزها
قسراً وهذا التشخيص أبلغ تأثيراً وأعظم تصويراً لقذف الكنوز مما لو عبر عنه
بالتصريح بلفظ آخر.

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: (وأخرجت الأرض أثقالها)^(٨٤).
بعد أن صورَّ الزلزال الذي يسبق ذلك بقوله سبحانه: (إذا زلزلت الأرض زلزالها)^(٨٥).
وقد استخدم رسول الله -p- التشخيص ذاته في قوله -p-: (هذه مكة قد
رمتكم بأفلاذ كبدها)^(٨٦). عند حديثه عن خرج إلى بدر من عليّة قريش من القادة
والزادة ووجوه السادات بعد أن ذكر المسلمون له أسماء من برز لمعركة بدر.
إذ جعل رسول الله -p- قريش امرأة ترمي بأفلاذ كبدها فمنح هذا التشخيص
الصورة حيوية وجعلها مشهداً مليئاً بالحياة والحركة.

ودلّت كلمة (الرمي) على الخروج للمعركة التي تستدعي القوة والشدة و(أفلاذ
الكبد) على عزّة المتحدث عنهم فهم صميم قريش وأعيانها وأشرافها. وقوله -p- في
صفة المؤمن الحق: (من كانت نيته الآخرة جعل الله غناه في قلبه وأنته الدنيا وهي
راغمة)^(٨٧).

إن التشخيص متمثل في قوله -p-: (أنته الدنيا وهي راغمة) فكأنَّ الدنيا امرأة خافضة جناحها للمؤمن تأتيه من حيث لا يطلبها فتغمره بمنافعها. وقد مهَّد ذلك من خلال قوله -p-: (جعل الله غناه في قلبه) الدال على ابتعاد ذلك المؤمن عن طلب الدنيا، ومما عزَّز الاتيان المترفِّقَ الجملة الحالية في (هي راغمة) التي تجلَّت من خلالها حركة الدنيا وهي تمشي على استحياء.

٢-التجسيم:

مصطلح عرفه العلماء العرب قال عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١)هـ عن الأستعارة: (إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جُسِّمَتْ حتى رأتها العيون)^(٨٨).

وعرَّفَه المحدثون تعريفات كثيرة منها: (تحويل المعنوي المجرد من اللبوس والحدود المكانية إلى حسيَّات ترى أو تسمع أو تشم أو تذاق)^(٨٩).

ومن أمثلته في المجازات النبوية قوله رسول الله -p-: (لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلاة، فلا يشين أحدكم وجه دينه، ولكل شيء أنف وأنف الصلاة التكبير)^(٩٠).

لقد جسم -p- الدين فجعل له وجهاً هو الصلاة، كما جسَّم (الصلاة) فجعل لها أنفاً، ليقرَّب الصورة إلينا، وللشريف تعليق لطيف في ذلك يقول: (المراد أنَّ الصلاة يعرف بها جملة الدين كما أنَّ الوجه يعرف به جملة الأنسان؛ لأنها أظهر العبادات وأشهر المفروضات وجعل أنفها التكبير؛ لأنه أول ما يبدو من أشراتها ويسمع من أذكارها وأركانها)^(٩١).

وبهذا التجسيم تقرَّبَت المعاني الذهنية (للصلاة والتكبير) من خلال اقترانها بالتجسيم الحسي لاسيما للمؤمنين الأوائل.

وهذا كثير في أحاديث رسول الله -p- التي تتحدث عن المعاني الإسلامية المجرّدة. ففي بيان أفضلية سور من القرآن الكريم وإيضاح أهميتها يقول -p-: (البقرة سنام القرآن وذروته، وياسين قلب القرآن)^(٩٢).

ففي الحديث تجسيما أحدهما: (البقرة سنام القرآن وذروته) والمراد أنها أعلى سور القرآن وأشرفها كما أن سنام البعير أعلاه وذروته.

والآخر: قوله: (وياسين قلب القرآن) أي أن سورة ياسين هي خالصة القرآن الكريم؛ لاحتوائها لباب السور الأخرى وتلخيصها ما فصلت.

تلك طهراوة الأسلام وشرّته، ولكل شيء ضراوة وشرّة ولكل شرّة فترة- فمن كانت فترته إلى الكتاب والسنة فسالم ما هو، ومن كانت فترته إلى معاصي الله فذلك الهالك)^(٩٣).

لقد أتضح التجسيد في قوله -p-: (تلك ضراوة الأسلام وشرّته) إذ شبّه الأسلام بسبع ضارٍ شديد الولع بأكل اللحم، فحذف السبع وأبقى لازماً من لوازمه وهي (الضراوة)، وانعكس هذا التجسيد في توضيح صورة الغلو في الورع والأفراط المؤدي إلى الاشتطاط أي أنّ هؤلاء الرجال غالوا في دينهم بما يزيد عن الحد ويخرج عن السنة المطهرة السمحة الواجب اتباعها حيث لا أفراط ولا تفريط.

الكناية:

من الأدوات المهمة لرسم الصورة الفنية التي لا تعتمد التعبير المباشر إنما توميء لمعنى غير مباشر يفهم من خلال السياق. قال عبد القاهر الجرجاني في تعريفها: (المراد بالكناية هاهنا: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره

باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به اليه ويجعله دليلاً عليه^(٩٤).

وأشار إلى أهميتها معللاً مزيتها التي تفوق بها التصريح. إن كل عاقل إذا تأمّل وجد أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكثر تأكيداً وبلاغة في الدعوى من أن تثبتها بشكل ساذج مباشر^(٩٥).

وقد صنّفها القدماء إلى كناية عن موصوف، وكناية عن صفة، وكناية عن نسبة، وأشاروا إلى أنواع أخرى كالتعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة.

غير أن المحدثين يجدون أنّ هذه التصنيفات غير مجدية؛ لأنّ الأمر متعلق في فهمها بإدراك طبيعة التعبير الكنائي وليس بتصنيف الأنواع^(٩٦)، واهتموا بالرمز لأنه يؤدي دراسة أهمية الصور المتكونة من خلالها، فتكشف الأسرار النفسية التي تنطوي عليها، وينبغي توضيحها عند إبراز مواطن جمالها^(٩٧).

لقد وردت الكناية في أحاديث رسول الله -p- عندما أراد العناية ببعض الموصوفين، وبيان أهميتهم أو عند توضيح حالات معينة يمرّ بها المسلم أو عند التأكيد على صفات معينة.

١ - الكناية عن موصوف:

وردت الكناية عن موصوف في أحاديث رسول الله -p- ومن أشهرها قوله لحادي مطية: (يا أنجشة رفقاً بالقوارير)^(٩٨) فقد كنّى -p- عن النساء بـ(القوارير) وهي أوعية الزجاج، لأن النساء رقيقات المشاعر متأجّجات العواطف فمن الضروري الترفّق بهنّ في كل شيء حتى لا يُعرّضنَ إلى ما لا يحمد عقباه، لذا نهى رسول الله -p- الحادي أن يسمعن ما يحرّك مواضع الصبوة وينقض معاهد العقّة^(٩٩).

وقد يكون المراد: أن النساء لا يتحملن سير الأبل السريع، والحداء مما يهيج الأبل ويحثها على السرعة فيكون في ذلك تحميل للنساء مالا يطقن.
ومن ذلك قوله -p- أيضاً: (أكثرُوا ذكر هادم اللذات)^(١٠٠). وتمثلت الكناية بقوله: (هادم اللذات) أي الموت؛ لأن اللذات تتلاشى بالموت فكأنه يهدمها كما يهدم البناء بضربه فيضمحل ويعفى رسمه.

وقوله -p- في بيان أهمية المؤذنين: (يجيء المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة)^(١٠١). فقد كئى عن وجاهة المؤذنين بـ(أطول أعناقاً) أي أنهم يأتون يوم القيامة أوجه الناس وجوهاً وأعناقاً ولا بد أن تكون (أطول) هاهنا من (الطول) أي الطاقة والفضل، لا من (الطول) الذي هو ضد القصر، أي أن فضل المؤذنين عظيم وشأنهم عظيم مقارنة بنظرائهم من الناس المؤمنين^(١٠٢).

وفي وصية رسول الله -p- لأزواجه قال: (سرعن لحاقاً بي أطولكنَّ يداً)^(١٠٣) فقد كئى بطول اليد عن كثرة البرِّ وبذل الوفر.

ومن طريف القول أنهم (رضوان الله عليهم) لما سمعن منه -p- هذا القول جعلن يتذارعن أيهنَّ أطول يداً أي أنهنَّ أخذن المعنى الظاهر - إلى أن توقيت أم المؤمنين زينب بنت جحش وكانت كثيرة المعروف ففهمن حينئذٍ المعنى الكنائي الباطن وهو عمل البرِّ الكثير^(١٠٤).

٢ - الكناية عن الصفة:

أكد رسول الله -p- أهمية صفات معينة فكئى عنها في مثل قوله -p-: (لا ترفع عصاك عن أهلك)^(١٠٥). فقد كئى بقوله (لا ترفع عصاك) عن التأديب، أي لا ترفع التأديب عن أهلك وعبر عن ذلك بالعصا؛ لأنَّ المتعارف عند العرب أنَّ التأديب لا يكون إلا بقرع العصا، ولا بد ألا يؤخذ الكلام على الحقيقة؛ لأنَّ الضرب

بالعصا مكروه عند رسول الله ومذموم فاعله، لذلك أوصى رسول الله -p- أصحابه أن يرفقوا بمن ملكت أيما نهم حنوًّا عليهم فكيف بالاحرار من الأهل والولد وهم أحق بالرعاية وأولى بالحنو^(١٠٦).
وأرى أن التعبير بالكناية هنا أكثر تأثيراً وبياناً لأهمية التأديب الذي ترافقه شدة في القول أو تخويف بالضرب من التصريح بكلمة (التأديب).

أنواع الصور الفنية:

- ١- الصور الحسية: وهي الصور التي تدركها إحدى الحواس كالصور البصرية والسمعية والذوقية والشمية واللمسية^(١٠٧).
- ٢- الصور الذهنية: وهي الصور التي تدرك عن طريق الذهن^(١٠٨).
- ١- الصور الحسية في أحاديث المجازات النبوية:

لما كان الحديث النبوي الشريف المنهل الثاني الذي استقى منه المسلمون دينهم بعد القرآن الكريم فلا بد أن يتبع الرسول -p- أثر الكتاب العزيز في اعتماده التصوير في طريقة الأداء. وانتقاله من المعنوي إلى الحسي وما ذاك إلا لأن رسول الله -p- أراد تقريب المعنويات والأفكار الذهنية الخاصة بالدين الحنيف إلى أذهان المؤمنين حتى يتمكنوا من تصورها وتمثلها بشكل حسي^(١٠٩).

لقد تنبه العلماء إلى أهمية الصور الحسية، ومنهم الرماني ت (٣٨٦هـ) الذي رأى أن النسبة الكبرى من تأثير وسائل التصوير القرآنية المتمثلة في الاستعارات والتشبيهات ترجع إلى قدرتها على تقديم المعاني تقديمًا حسياً^(١١٠). وأكد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أهمية الصور الحسية وارتياح النفوس إليها بقوله: (إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأنيها بصريح بعد مكني، وأن

تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء هي به أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم، وأن تنقلها من العقل إلى الأحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن العلم المستفاد عن طريق الحواس أو الموكوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام^(١١١).

أنواع الصور الحسية:

- الصور البصرية:

جعل الله تعالى لحاسة البصر النصيب الأوفر بين الحواس الأخرى؛ لذا كانت أكثر الصور تأثيراً، ومن أظهرها الصور اللونية؛ لما لها من أثر في رسم الصور التي وردت في سياقاتها، وهذا ما ظهر في أحاديث المجازات النبوية وأكثر الألوان استخداماً اللونان الأبيض والأسود، إذ وظّفهما توظيفاً رمزياً من خلال دلالتيهما المتضادتين على الخير والشر. كقوله -p-: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)^(١١٢).

فقد وظّف رسول الله -p- رمزية اللون الأبيض الذي يدل على النقاء والصفاء والوضوح لتنعكس على وضوح الدين، وبيان منهجه ونقائه أي أن رسول الله -p- ترك أمته على الطريق المستقيم والنهج القويم الذي لا يلتبس على أحد فهو واضح بيّن وقد عزّز هذه الدلالة بقوله: (ليلها كنهارها) (إشارة إلى أن الليل لا يغطي وضوح هذه المحجة بسواده ولا يستر أعلامها بظلامه)^(١١٣).

وقد دسّن استخدام اللونين المتضادين معاً لتنعكس دلالة أحدهما على الآخر فتبرزها (فالضد يظهر حسنه الضدّ) كما يقال وتنتال رمزية اللونين على صفة الدين،

إذ هو واضح النهج بين السنن نير المداخل ظاهر الحجج والدلائل، وبذلك لا تغطيه اعتراضات المعترضين ولا أساليب المغرضين.

كما بدت رمزية اللون الأبيض منعكسة على أهمية ليلة الجمعة ويومها في قول رسول الله -p- ليلة الجمعة غراء ويومها أزهر^(١١٤)، إذ استخدم -p- ما يدل على اللون الأبيض لوحده دون جمعه مع ضده، وهما لفظاً غراء و (أزهر) المعروفان لدى العرب، فالأول مأخوذ من الفرس الغراء: وهي الفرس السوداء أو الحمراء التي فيها بياض في جبهتها أو وجهها^(١١٥).

وحسن أن توصف الليلة بأنها غراء لوجود الظلمة فيها لكن نورها بين بيان الغرة في وجه الفرس.

والثاني: هو (أزهر) أي الشديد البياض وحسن وصف اليوم به لأن اليوم لا ظلمة فيه فكأن يوم الجمعة (لتمييزه من الأيام بعظم القدر، وشرف الذكر قد زاد عليها اتضاحاً، وكثرها غرراً وأوضاحاً)^(١١٦).

إن استخدام ما يدل على اللون مقروناً بدلالاته البيئية الحسية أكثر تأثيراً في السامعين من استخدام لفظ اللون نفسه.

وقد يدخل رسول الله -p- اللون في صورة تشبيهية تزيده وضوحاً وتأثيراً كما في قوله -p- عن ليلة القدر: هي ليلة أضحيانة كأن قمرًا يفضحها^(١١٧).

إن دلالة اللون الأبيض برزت من خلال التعبير عن النور الذي يسطع في تلك الليلة بلفظ (أضحيانة)، قال ابن منظور: (ليلة أضحيانة: مضيئة لا غيم فيها، وقيل: موهوخص^١ بعضهم بها الليلة التي يكون القمر فيها من أولها إلى آخرها)^(١١٨).

ثم عزّز رسول الله -p- تلك الدلالة من خلال الصورة المرسمة في التشبيه: **كأنَّ قمرًا يفضحها** يدل على شدّة الإضاءة فكأنَّ قمرًا يعزز تلك الأضاءة، وعبر عن الإبراز بـ(الفضح)؛ ليدل على أنّ إشهار ضياء الليلة كان معتمداً؛ لتمييزها من غيرها، وقد ساعد التكرار الوارد في كلمة (قمرًا) على جعله مختلفاً عن القمر الذي نعرفه فهو أشدُّ ضياءً، وأقلَّ حياءً إذ وصفه رسولنا بقوله: (يفضحها) فاستخدمه -p- في غير ما عرف به؛ (لأن حقيقة الفضح كشف القبيح وهو أن يكشف الإنسان عن ريبة أو تنثني عليه سوءة، ولكن القمر لمّا كان كاشفاً للسدفة وصادعاً للظلمة أجراه -عليه الصلاة والسلام- مجرى الثاني للسوءة والكاشف للريبة المغطاة وهذه من محاسن الإستعارات)^(١١٩).

أما اللون الأسود فقد أستخدمت دلالاته في الحديث عن الشيطان ومداخله، أو في الحديث عن الشر ومصائبه:

كما في قوله -p- لرجل أقبل إليه ممن يئثم في دينه: (أرى عليه سفعة من الشيطان)^(١٢٠) مستخدماً ما يدل على ذلك اللون وهو: (السفعة) وتعني السواد، وقيل هو السواد المشوب حمرة. فكأنَّ رسول الله -p- رأى بوجهه أثراً يدل على سوء يقينه وفساد دينه فجسّد ذلك من خلال الدلالة الرمزية للون الأسود الذي انعكس على هيئته الخارجية.

ولم يقل رسول الله -p- كما قالت العرب لمن خبثت عقيدته وساعت سريرته **وجّه فلان مسودّ**^(١٢١) إنما جعل لآثار الشيطان وسواد لونه انعكاساً عليه فكأنَّ اللون أشتق من خصاله المعروفة، وهذا أبلغ في الإشارة إلى ذلك لاسيما أنّ الكلمة جاءت منكّرة لكي لا يتقيد ذلك اللون وتحدد ماهيته؛ ليتيح لذهن القاريء فرصة التأمل والتخيل في رسم معالمه.

وقوله -p- في تحذيره أصحابه من الفتن المتوقعة ﴿أناخت بكم الشرُّ ف الجون﴾^(١٢٢) إذ أفاد رسول الله -p- من رمزية اللون الأسود في رسم صورة قائمة للفتن التي ستمر بالمسلمين في اتصالها وامتداد أوقاتها؛ وذلك لظلام منهجها والتباس مخرجها، وشبهها بصورة مألوفة في حياتهم هي صورة النوق المسنة السوداء التي اعتادوا على تشبيه الحرب بها؛ لأنها أكره مناظر وأقل فوائد^(١٢٣).

أما اللون الأخضر فهو يدل على النماء ويرمز إلى الحياة، وهذه الدلالة واضحة في حديث رسول الله -p-: (يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه)^(١٢٤). فللمال حلوة في القلوب كما أن للثمرة حلوة في النفوس تجعلها تسعى إليها. لقد بين الشريف الرضي السر اللطيف في هذا الحديث الشريف الكامن في قوله -p- (إذ شبه المال بالثمرة التي حسن منظرها وطاب مخبرها، وليس كل ثمرة مأكولة كذلك صفتها؛ لأن في النابتات والثمرات ما يحسن ظاهره، ويقبح باطنه ومنها ما يقبح ظواهره وتحسين مخايره، فجعل -عليه الصلاة والسلام- المال من قسم النابتات التي تروق في العيون وتحلو في الأفواه والقلوب والمال على الحقيقة بهذه الصفة)^(١٢٥).

إن الدلالة السابقة للون الأخضر لا تعني ثباتها فقد يؤثر السياق في تغييرها كما في قوله -p-: (يأكم وخضراء الدمن)^(١٢٦).

إذ نهى رسول الله -p- عن تحري الدسن فقط عند الخطبة، فلا بد من تخير المنبت الطيب، والأصل العريق؛ لأن العرق دساس .

إن إضافة (الخضرة) إلى (الدمن) غير دلالتها، فهي وإن دلت على الحسن الظاهر فقد دلت (الدمن) على القبح الباطن، فأثر السياق تأثيراً بيناً في تغيير الدلالة.

ومن الجدير بالذكر أن الفاظ الألوان قد تدخل في دلالات مجازية تعارف عليها العرب كما في قوله -p-: (لو يعلمون ما يكون في هذه الأمة من الجوع الأغبر، ومن الموت الأحمر)^(١٢٧).

فقد وصف -p- الجوع بـ(الأغبر)؛ لأن الجوع أبداً يكون في السنين المجبة وسنو الجذب تسمى غبراً، لا غبرار آفاقها من قلة الأمطار، وأراضيها من عدم النبات والاختصار)^(١٢٨)؛ ولأن الجوع كان يلحق العرب في الأزمت واللأواء وفي السنين الجذباء، أما وصف الموت بـ(الأحمر) فللدلالة على الشدة وهذه طريقة العرب في وصف اليوم الشديد البأس بالحمرة لاحتمرار أرضه وسلاحه بالدم لكثرة الجراح، فإذا ساغ هذا في صفة اليوم ساغ مثله في صفة الموت^(١٢٩).

وكثيراً ما يستخدم رسول الله -p- الألفاظ الدالة على الصورة البصرية مثل (ترون) و(أرى) كما في قوله -p- (ترون ريكماً يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته)^(١٣٠) ولما كانت رؤية الخالق سبحانه غير متصورة في أذهان المسلمين استعان بصورة مألوفة مرئية هي رؤية القمر ليلة البدر وبين ما هيئة تلك الرؤية بقوله (لا تضامون في رؤيته) أي (لا تختلفون في مطلعته ولا تتمارون في رؤيته فيضير بعضكم بعضاً أو يضيف بعضكم بعضاً في دفعه عن ذلك أو الاستئثار به عليه والإدراك له دونه)^(١٣١). ويرى الشريف الرضي أن تحمل الرؤية على المجاز لا على الحقيقة. كما حملت الآية الكريمة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة)^(١٣٢). على تقدير مضاف ساقط أي: (أنكم ترون أشراف يوم المعاد، وما وعد الله به وأوعد من الثواب والعقاب كما ترون القمر ليلة البدر يريد في البيان والظهور والإصحار للعيون)^(١٣٣) وقد استعنت بأحاديث حوت الفاظ الرؤية في مواضع أخرى سيأتي تفصيلها وسأترك ذكرها هنا تجنباً للتكرار والأطالة.

- الصور السمعية:

وهي الصور التي تبرز عن طريق حاسة السمع وتستعين بوسائل رسم الصورة لإبرازها بشكل يرهف الأسماع ويفتق الأذهان لتصورها، كما في قوله -p-: (الرحم تتكلم بلسان طُلُق دُلُق، تقول: صل من وصلني)^(١٣٤).

لقد تهيأت مقوّمات الصورة السمعية المؤثرة في هذا القول الشريف وأهمها:

- التشخيص في قوله (الرحم تتكلم) إذ أضفى على الرحم الصفة الإنسانية بالكلام ونصوص القول.

- والتفصيل في صفة لسانها الناطق إذ هو (طُلُق، دُلُق). أي فصيح بليغ كما أشار إلى ذلك ابن الأثير^(١٣٥).

- ثم الحوار في قوله -p-: (تقول صل من وصلني).
فبهذا الرسم التفصيلي للصورة السمعية نبه رسول الله -p- على ضرورة الأهتمام بصلة الرحم الواجب أداء حقوقها (فصارت بهذه الحال كأنها ناطقة بالحض على صلتها، والدعاء لمن وصلها)^(١٣٦).

وقد ينقلنا رسول الله -p- بصورة سمعية بصرية إلى يوم القيامة ليرينا مصير من يتخذ غير الله ربّاً، ويرينا خلوده في النار، بقوله -p-: (ينادي مناد يوم القيامة ليلحقن كلّ أمة بما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد صنماً إلا ذهب حتى يقع في النار، ويبقى غُبرَات أهل النار)^(١٣٧).

فقد أسمعنا رسول الله -p- صوت المنادي من خلال قوله: (ينادي المنادي) وعقلنا مقالته: (للحقن كلّ أمة بما كانت تعبد...) وأرانا مصير الملحدين وخلودهم

الأبدي في هذه النار التي لا تعرف الامتلاء: (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول: هل من مزيد)^(١٣٨) (فلا يبقى أحد كان يعبد النار...) فحمدنا الله على نعمة الهداية.

- الصور الذوقية:

وهي الصور المرتسمة عن طريق حاسة الذوق، وقد وردت في حديث رسول الله -p- بدلالات مجازية لتحبيب الصفات الحميدة إلى نفوس المؤمنين وتعويدهم عليها.

كما في قوله -p-: (إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بَرِيءٌ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ، وَمَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ جُرْعَةٍ غِيظَ يَكْظُمُهَا عَبْدٌ)^(١٣٩).

والملاحظ على الحديث والصورة الوارد فيه أمور أهمها:

١- إنَّ الصورة جاءت بعد مقابلة أشارت إلى صعوبة عمل الجنة ووعورة مسلكه فهو (حزن بريء)، والحزن: ما غلظ من الأرض فيصعب تجشّمه، وجعله بريء: وهي الأكمة العالية؛ ليكون تجشّمه أشق وتكلفه أصعب، كما أشار إلى تيسّر عمل النار فهو (سهل) وجعله (بسهوة): وهي الأرض اللينة التربة؛ ليكون طريقها سالكاً سهلاً لا مشقة فيه.

٢- عبّر عن تعرّض المؤمن للابتلاء وتحملّه له بـ(الجرعة) فغيظ الإنسان مرّاً لا يتجرّعه إلاّ من أوتي حظاً من الحكمة الإيمانية التي ينعكس أثرها في أخلاق المؤمن، وهذا من أفضل الإستخدامات؛ لأنّ أحاديث الرسول -p- إصلاحية تستهدف القضاء على الأمراض الاجتماعية.

٣- شوّقنا رسول الله -p- إلى تلك الجرعة فقد أوردناها نكرة (جرعة) لتأمل نوعها ثم فصل ما هيتها بقوله: (أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد).

٤- أورد رسول الله -p- لفظين دالين على العبادة هما: لفظ الجلالة (الله) وأضاف الجرعة اليه، ثم أنهى الحديث بلفظ (عبد) بعد أن أورده في جملة (يكظمها عبد) الفعلية الدالة على التجدد والحدوث. أي أنم العبد مستمر في طاعته لله سبحانه، والله تعالى مجزل له العطاء عليها. فابتدأ الحديث بصعوبة عمل الجنة، وأنتهى بطاعة العبد ليستحق بها الوصول إلى الجنة. وقد تجتمع في حديث واحد صور حسية متعددة في مثل قوله -p-: (نَّ لِلشَّيْطَانِ نَشَوقًا وَلَعُوقًا وَدَسَامًا)^(١٤٠).

إذ أراد -p- أن يبيّن تأثير الشيطان في الإنسان فيأتيه من حواسه جميعاً، من شمة وذوقه وسمعه، وهذا التأثير محمول على المجاز حيث نسب رسول الله -p- الصفات السيئة التي تظهر في تصرفات الإنسان إلى ذلك: إذ شبّه ما يسوّه الشيطان للإنسان من العجب بنفسه، والارزاء على غيره حتى يشمخ بأنفه وينأى بعطفه بالنشوق الذي ينشقه إياه فيحدث له هذا الخلق الذميم والطبع اللئيم)^(١٤١).

وحسن ذكر (اللعوق) هنا فكأنه بهذا التسويل يلحق جوفه ويحدث له هذا الخيلاء والكبر فيمده بألوان العجب. ولما كان الشيطان صارفاً الإنسان عن سماع قول الرشد حسن تشبيه ذلك بالدّسام وهو الصمام الذي تسد به الأذن، فكأنه أحكم إغلاق أذن الإنسان ليحجبه عن سماع العظات الزواجر وأحاسن الأوامر. وبذلك تكاملت أركان الصورة الحسية المجتمعة لرسم مشهد لأحكام سيطرة الشيطان على الإنسان المهزوز الإيمان.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذه الرحلة في رحاب المجازات النبوية واستنشاق عبير النفحات المحمدية توصلت إلى النتائج الآتية:

- ١- إن كتاب المجازات النبوية من أكثر الكتب البلاغية التي اعتنت بالحديث النبوي الشريف نفاسة، أنعكست فيه شخصية الشريف الرضي العلمية والبلاغية الرصينة وكان لتعليقاته المتقنة أثرها في توضيح الصور الفنية المبنوثة في تلك الأحاديث الشريفة.
- ٢- إن الحديث الشريف هو السبيل الأول لفهم القرآن الكريم وتفصيل مجمله وتعزيز المعاني السامية التي وردت فيه.
- ٣- احتذى رسول الله -p- حذو القرآن الكريم في استخدام التصوير الأداة المفضلة للتعبير؛ لما فيه من جذب لانتباه السامع والقارئ وفتق لأفاق الخيال. وقد سخره رسول الله -p- لنشر الدين الإسلامي، وتوضيح أهدافه ومعالمه وتصوير مشاهد القيامة وبيان الجنة والنار.
- ٤- إن أغلب الأحاديث الشريفة الواردة في كتاب المجازات النبوية غلب عليها الإيجاز الذي أفصح عن البلاغة العليا لرسول الله -p- وهذا مصداق لقوله تعالى: (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى)^(١٤٢).
- ٥- من أهم وسائل التصوير الواردة في أحاديث (المجازات النبوية) التشبيه البليغ والتشبيه التمثيلي وهذان النوعان لهما دورهما البارز في إثراء الدلالة لأن الصور المرتسمة من خلالهما صور مليئة بالحياة والحركة.
- ٦- إن الصور الحسية هي الصور الوحيدة الواردة في أحاديث المجازات النبوية وقد جاءت أنواعها الخمسة منفردة وهي الأكثر، ومجموعة أحياناً حيث تتعاون

حاستان وثلاث لرسم صور حسية مركبة. وقد استعان رسول الله -p- بالبيئة العربية في رسمها لأنها السبيل الأفضل لتقريب الصور المعنوية إلى الأذهان. حيث تقرن بها فتنعكس صفات القريب المألوف الحسي على البعيد المعنوي الغامض فتوضحها. لذا لم ترد في المجازات النبوية الصور الذهنية التي تخرج من الحسي. إنما ورد النوع الأول فقط؛ لأن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكني) كما يقول عبد القاهر الجرجاني^(١٤٣).

٨- إن أهم أغراض الصور الحسية:

أ- تصوير الحالات النفسية.

ب- توضيح الصفات البشرية.

ج- الاهتمام ببعض المدن لقداستها، وبيان أهمية بعض القبائل التي ساندت الإسلام وناصرت رسول الله -p-.

٩- إنَّ أغلب الاستعارات الواردة في المجازات النبوية هي الاستعارات المكنية التي تميزت بالتشخيص والتجسيم اللذين يجعلان الصورة نموذج بالحياة والحركة من خلال إسباغ الصفات البشرية عليها فتقرَّب ما بعد عن الأذهان بجعله ماثلاً للعيان.

مصادر البحث ومراجعة:

- القرآن الكريم.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ، د. منجد مصطفى بهجت، مديرية دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة للشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تح: هـ. ريتز، مطبعة وزارة المعارف، استنبول، ١٩٥٤، أعادت طبعه مطبعة المثنى، بغداد، ط ٢، ٣٣٩هـ-١٩٧٩م.
- أنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي علي بن يوسف، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د.ط.)، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- الأيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ)، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د.ط، ١٩٧١م.
- البرهان الكاشف عن أعجاز القرآن. للزملكاني، تح: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، ط ١، بغداد، ١٩٧٤.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي. د. كامل حسين البصير، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي. د. سناء حميد البياتي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحفاظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، المكتبة السلفية المدينة المنورة، (د.ت).

- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن ابن أبي الأصبع المصري، تح: د. حفني محمد شرف- القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، بيروت (د.ط)، (د.ت).
- التعبير البياني، د. شفيع السيد، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، د.ط، د.ت.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تح: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله ومحمد زعلول سلام، دار المعارف، د.ت.
- جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي د. فايز الدايدة، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨-١٩٧٥م دراسة نقدية، د. صالح أبو صالح، ط١، ١٩٧٩م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لعل بن الحسن بن علي بن أبي الطيب التاخرزي (ت ٤٦٧هـ)، تح: محمد التوتجي، مؤسسة الدار الحية للصحافة والنشر - دمشق، (د.ت).
- السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية. د. عهود عبد الواحد العكيلي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٩٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.).
- شعر علماء الأندلس في القرن الرابع الهجري. كريم عبد الواحد النصراوي، رسالة ماجستير، كلية التربية - ابن رشد، بغداد، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- الشعر والتجربة. ارشيبالد مكليش، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة توفيق صايغ، دار اليقظة العربية، بيروت - مؤسسة فرانكلين، د. ت.
- الصورة الفنية معياراً نقدياً. د. عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.
- في تأصيل مصطلح الاستعارة مداخل تنظيرية، د. أياد عبد الودود عثمان، مجلة المجمع العلمي، ج ٣، مج ٥٤، بغداد، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ) نسخة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية، للتأليف والترجمة. (د.ت.).

- المجازات النبوية، أو مجازات الآثار النبوية للشرif الرضي ابي الحسن محمد بن الحسين بن أحمد الموسوي، (ت ٤٠٦هـ)، حققه مروان العطية، د. محمد رضوان الداية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- المحمدون من الشعراء وأشعارهم علي بن يوسف القفطي، حققه: وقدم له حسن معمري، مراجعة حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة - السعودية - الرياض، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، ج ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، القاهرة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط ١، ١٣٥٧هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، مطبعة الأمانة، مصر، د.ط، ١٩٧٨م.
- النقد الأدبي الحديث. د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

- النقد التطبيقي والموازنات، محمد الطاهر عفيفي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. للأمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تح: طه أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، دار التفسير، أيران، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي باعتناء د. دريد ينغ- أستانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٤٩م.
- وفيات الأعيان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تح، د. أحسان عباس، مطبعة دار الثقافة- بيروت، (د.ت).
- يتمية الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، ج ٣، شرح، وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الهوامش:

- (١) سورة النجم: ٣-٥.
- (٢) المجازات النبوية: ٥-٦، اللُّمَع: جمع لُمعة، واللُّمعة من الجسد بريق لونه، الأُكْمَة: جمع الكمامة وعاء البزر (في النبات) قبل أن يظهر والأُكُنَان: جمع كِن: وقاء كل شيء وستره، الخِلل: جمع الخِلَّة: جفن السيف (قِرابَة) المغشَّى بالأدم (أي الجلد).
- (٣) المصدر السابق: ٦.
- (٤) المصدر السابق: ٦.
- (٥) المصدر السابق: ٥.
- (٦) ليس هناك اختلاف في اسمه، ينظر في ترجمته والتوسع في أخباره: يتيمة الدهر: ١٥٥/٣، تاريخ بغداد: ٢/٢٤٦، دمية القصر: ١/٢٩٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٧/٢٧٩، المحمَّدون من الشعراء: ٢٤٣، إنباه الرواة: ٢/١١٤، وفيات الأعيان: ٤/٣٧، الوافي بالوفيات: ٢/٣٧٤، ميزان الاعتدال: مج ٣/٧٤٨، سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٨٥، شذرات الذهب: ٣/١٨٢.
- (٧) يتيمة الدهر: ١٥٥/٣.
- (٨) المجازات النبوية: ٤ (تقديم الكتاب) د. صادق آئينه وند.
- (٩) الوافي بالوفيات: ٢/٣٧٤.
- (١٠) وفيات الأعيان: ٤/٤٥.
- (١١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٤٣، ١٤١، ٢٨٩، ٣٣١ والمجازات النبوية: ٧، ١٢.
- (١٢) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي: ١٨٢.
- (١٣) النقد الأدبي الحديث: ٤٥٣.
- (١٤) النكت في أعجاز القرآن: ٧٤.

- (١٥) كتاب الصناعتين: ٣٩٩، وينظر مثل هذا المعنى في: الطراز: ٢٦٣/١.
- (١٦) ينظر: البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي: ٢٩٩.
- (١٧) الأسلوبية ثلاثية الدوائر البلاغية: ٤٠٠.
- (١٨) ينظر: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ٤٢.
- (١٩) تحرير التحبير: ١٥٩.
- (٢٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٨٠/٢.
- (٢١) المجازات النبوية: ٣٨١، ومثله: ٥١، قوله -p-: (الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الأرض).
- (٢٢) المصدر السابق، الصفحة السابقة.
- (٢٣) المصدر السابق: ٣٧٤.
- (٢٤) المصدر السابق: الصفحة السابقة، قرطس السهم: إذا أصاب القرطاس أي أصاب الغرض، ينظر: لسان العرب مادة (قرطس) وعن الشريف أنها من التمثيلات التي أصابت غرضها.
- (٢٥) سورة النساء: الآية ١٥٧.
- (٢٦) المجازات النبوية: ٧١.
- (٢٧) المصدر السابق: ٧٢.
- (٢٨) الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مياه العيون، وهي مرحلة من مراحل حياة الضفدع يكون فيها دائم الحركة في المياه.
- (٢٩) المجازات النبوية: ٣٦٩.
- (٣٠) ينظر: المصدر السابق: الصفحة السابقة.
- (٣١) المصدر السابق: ٦٣.
- (٣٢) النهاية في غريب الحديث: ١٦٣/٤، إذ أورد ابن الأثير الحديث ثم علّق عليه بالتعليق المشار إليه.

- (٣٣) ينظر: المجازات النبوية: ٦٤.
- (٣٤) المصدر السابق: ١٠.
- (٣٥) المصدر السابق: ٢٧.
- (٣٦) النهاية في غريب الحديث: ١١٧/٥.
- (٣٧) المجازات النبوية: ٢٨.
- (٣٨) المصدر السابق: ١٦٥ وذكره ابن الأثير بلفظ (المؤمن وإه راقع) في النهاية في غريب الحديث: ٢٥١/٢.
- (٣٩) المجازات النبوية: ١٦٥.
- (٤٠) المصدر السابق: ١٨٥.
- (٤١) ينظر المصدر السابق: ١٨٦.
- (٤٢) ينظر وروده في أحاديث أخرى من المجازات النبوية على سبيل المثال لا الحصر الحديث السابع: ٢٧، والحديث ٢٦٦: ٣٠٢، والحديث ٣٧١: ٣٩٤.
- (٤٣) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: ٦٠.
- (٤٤) ينظر: جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي: ٩٤-٩٥.
- (٤٥) فصل القول في هذه الدلالات سيد قطب في كتابه: التصوير الفني في القرآن: ٣٠-٣٨.
- (٤٦) مفتاح العلوم: ١٦٤، وتابعه في ذلك القزويني في الإيضاح: ٢٤٩، والتلخيص: ٢٧٤.
- (٤٧) المجازات النبوية: ٣٢٦.
- (٤٨) ينظر: المصدر السابق.
- (٤٩) المصدر السابق: ٢٦٥.
- (٥٠) المصدر السابق: ٣٦١.

(٥١) المصدر السابق: ٧٣ الدُجَز: جمع حجرة، وهي معقد الإزار وهي الثوب الذي يغطي ما بين السُرة والركبة، والحجرة من السروال موضع التكة، والمراد بالأخذ بالحجز: الشد والجذب؛ لأنها أمكن من الشدّ والجذب، التقاحم: الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبّت.

(٥٢) المصدر السابق: ٧٣ الشكائم جمع شكيمة وهي الحديدية في اللجام تكون في فم الفرس، والخزائم جمع خزامة، وهي خطام البعير في أنفه حتى يمتنع عن المشي إذا جذبته راكبه نحوه.

(٥٣) المصدر السابق: ٣٧٦.

(٥٤) المصدر السابق: الصفحة السابقة.

(٥٥) المصدر السابق: ٢١٠.

(٥٦) المصدر السابق: ٢١١، الإرماض: شدة الحر.

(٥٧) عيون الأخبار: ٩/٢.

(٥٨) المجازات النبوية: ٣٤٦، الفَلَوّ: الجحش والمهر إذا فطم، قال الجوهري عن سبب تسميته بذلك: (لأنه يفتلى، أي يُفطم، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه، وقد يطلق على ولد البقرة، ينظر: لسان العرب مادة (فصل)).

(٥٩) المجازات النبوية: ٣٤٦.

(٦٠) المصدر السابق: ٩٩، أرز: أوى واجتمع.

(٦١) النهاية في غريب الحديث: ٣٧/١.

(٦٢) ينظر: المجازات النبوية: ٩٩.

(٦٣) المصدر السابق: ٣٠٥.

(٦٤) المصدر السابق: ٣٠٦، المصاص: خلاصة الشيء، والنضار: الذهب الخالص أو خالص الجواهر.

(٦٥) ينظر: البرهان الكاشف في إعجاز القرآن: ٣١٠.

- (٦٦) دلائل الأعجاز: ٥٣.
- (٦٧) ينظر: البرهان الكاشف في إعجاز القرآن: ٣١٠.
- (٦٨) دلائل الأعجاز: ٥٣.
- (٦٩) أسرار البلاغة: ٤١.
- (٧٠) مفتاح العلوم: ١٧٤، وللاطلاع على أهم تعريفات العلماء القدماء: ينظر على سبيل المثال: بحث: في تأصيل مصطلح الاستعارة مداخل تنظيرية: ٩٩-١٠٢.
- (٧١) نظرية البنائية في النقد الأدبي: ٣٥٦.
- (٧٢) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢٢٤.
- (٧٣) ينظر: الشعر والتجربة: ٨٨.
- (٧٤) المجازات النبوية: ٢٠٩-٢١٠.
- (٧٥) المصدر السابق: ٢١٠.
- (٧٦) المصدر السابق: ٤٩، المفاحص: أوضحها الشريف الرضي في الصفحة نفسها بقوله: (جمع مفحص وهو الموضع الذي تبخته القطاة لتجثم عليه أو لتبيض فيه).
- (٧٧) المصدر السابق: ٣٥.
- (٧٨) المعجم الأدبي: ٦٧، وينظر: النقد التطبيقي والموازنات: ٨٧.
- (٧٩) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ٥٧، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٥٨، والأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: ٢٩٩-٣٠٠، شعر علماء الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٦٠.
- (٨٠) المجازات النبوية: ٣٨٦.
- (٨١) المصدر السابق: الصفحة السابقة.
- (٨٢) المصدر السابق: ٢٨٤، وورد في النهاية في غريب الحديث بلفظ (وتقيء الأرض أفلاذ كبدها): ٤٧٠/٣.
- (٨٣) المجازات النبوية: ٢٨٤.

- (٨٤) سورة الزلزلة: ٢.
- (٨٥) سورة الزلزلة: ١.
- (٨٦) المجازات النبوية: ٨.
- (٨٧) المصدر السابق: ١٦٦.
- (٨٨) أسرار البلاغة: ٤١.
- (٨٩) التصوير الفني في القرآن: ٦٣.
- (٩٠) المجازات النبوية: ١٩٦.
- (٩١) المصدر السابق: ١٩٧.
- (٩٢) المصدر السابق: ٣٧٦.
- (٩٣) المصدر السابق: ٣٧٧، وفيه: الضراوة على الشيء المأكول أو المشروب: هي شدة الاعتیاد له، وفرط المنازعة إليه حتى لا يصبر عنه والشرّة: النشاط والرغبة، وينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤٥٨/٢ و ٨٦/٣.
- (٩٤) دلائل الأعجاز: ٥٢.
- (٩٥) ينظر: المصدر السابق: ٥٧، ٥٨.
- (٩٦) طرح هذا الرأي د. شفيع السيد، ينظر كتابه: التعبير البياني: ١٣٧.
- (٩٧) ينظر: البناء الفني لشعر الحب العذري: ٢٤٥ وقد تابعت د. سناء البياتي رأي د. حفني محمد شرف الوارد في كتابه: الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق: ٤٤٧.
- (٩٨) المجازات النبوية: ٢٣.
- (٩٩) المصدر السابق: ٢٤.
- (١٠٠) المصدر السابق: ٣٦٦.
- (١٠١) المصدر السابق: ٧٦.
- (١٠٢) ينظر: المصدر السابق: الصفحة السابقة.

- (١٠٣) المصدر السابق: ٥٩.
- (١٠٤) المصدر السابق، الصفحة السابقة.
- (١٠٥) المصدر السابق: ٢٨٢.
- (١٠٦) ينظر: المصدر السابق: الصفحة السابقة.
- (١٠٧) ذكرها بالتفصيل د. عبد الله الصائغ، ينظر: الصورة الفنية معياراً نقدياً: ٤٠٦.
- (١٠٨) ينظر: البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي: ٢٥٥.
- (١٠٩) ينظر: السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية: ١٧٦ - ١٧٨.
- (١١٠) ينظر: النكت في أعجاز القرآن: ٨٤، وأشار إلى الفكرة بشكل دقيق د. جابر عصفور في كتابه: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢١٦-٢٦٢.
- (١١١) أسرار البلاغة: ١٨٠.
- (١١٢) المجازات النبوية: ٣٩٧.
- (١١٣) المصدر السابق: الصفحة السابقة.
- (١١٤) المصدر السابق: ٣٣٤.
- (١١٥) ينظر: لسان العرب مادة (غرر).
- (١١٦) المجازات النبوية: ٣٣٥.
- (١١٧) المصدر السابق: ١٣٩.
- (١١٨) لسان العرب، مادة (ضحا).
- (١١٩) المجازات النبوية: ١٣٩.
- (١٢٠) المصدر السابق: ٢٩٤، وقد ورد نص الحديث في النهاية في غريب الحديث والأثر بـ: (إنَّ بهذا سفعة من الشيطان: ٣٧٥/٢).
- (١٢١) ينظر: المجازات النبوية: ٢٩٤.
- (١٢٢) المصدر السابق: ٣٨.
- (١٢٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٦٣/٢ والمجازات النبوية: ٣٨.

- (١٢٤) المجازات النبوية: ٦٧.
- (١٢٥) المصدر السابق: الصفحة السابقة.
- (١٢٦) المصدر السابق: ٦٢.
- (١٢٧) المصدر السابق: ٥٧.
- (١٢٨) النهاية في غريب الحديث: ٣/٣٣٧.
- (١٢٩) ينظر: المجازات النبوية: ٥٨، ٥٩، والنهاية في غريب الحديث: ٣/٣٣٧.
- (١٣٠) المجازات النبوية: ٤١.
- (١٣١) المصدر السابق: الصفحة السابقة.
- (١٣٢) سورة القيامة: ٢٢-٢٣.
- (١٣٣) المجازات النبوية: ٤٤ والإصحار: الظهور، وأصحر القوم ظهوروا في الصحراء وبرزوا فيها.
- (١٣٤) المصدر السابق: ١٥٣.
- (١٣٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/١٦٥ إذ ورد فيه نص الحديث: (جاءت الرحم فتكلمت بلسان ذلق طلق).
- (١٣٦) المجازات النبوية: ١٥٣.
- (١٣٧) المصدر السابق: ٣١٤، والغبر: جمع غابر، وهو الباقي يقال رجلٌ غابر، وقوم غُبرٌ، والغبر: البقاء ينظر لسان العرب مادة (غبر).
- (١٣٨) سورة ق: ٣٠.
- (١٣٩) المجازات النبوية: ٣٣٥.

(١٤٠) المجازات النبوية: ٢٧٧، وفيه قال الشريف الرضي في تفسير كلمات الحديث الشريف: (النشوق: ما أستنشقه بأنفه، وقيل اسم لكل داء يصب في الأنف،

واللعوق: ما لعقه بلسانه، والدسام: الشيء الذي يجعله سداداً لأذنه، يقال: دسمتُ الشيء أدسمه دسماً إذا سدّدته. وينظر: النهاية في غريب الحديث: مادة (نشق) ٥٩/٥.

(١٤١) المجازات النبوية: ٢٧٧.

(١٤٢) سورة النجم: (٣-٥).

(١٤٣) أسرار البلاغة: ١٨٠